

**Description, creativity and homeland In the poetry of Sheikh Mohammad Reza Shabibi**

أ.د صباح عباس عنوز

**Prof. Sabah Abbas Anouz**

كلية التربية للبنات . الكوفة

**College of Education for Girls Kufa**

**الخلاصة**

ظهرت المجاميع الشعرية، فظهرت طبقة كان في مقدمتها الشيخ جواد الشبيبي والسيد رضا الهندي، والسيد باقر الهندي والسيد محمد حسين الكيشوان، والشيخ محمد السماوي وعبدالكريم الجزائري، ومن مدرسة هؤلاء تخرج جيلٌ عرفوا بأنهم من عمالقة الشعر العربي في القرن العشرين، منهم الشيخ محمد رضا الشبيبي وأحمد الصافي ومحمد مهدي الجواهري والشيخ باقر الشبيبي والشيخ علي الشرقي، وفي ظلهم نشأ الجيل الشعري المواكب لحركة الشعر العربي في العراق عامة وفي النجف خاصة، وراح الشعراء بأجيالهم هذه يختلفون إلى حلقات الدرس الشعري والأماسي المنظمة، وشرعوا يستقون علوم العربية وما يتصل بها، ويتابعون الإصدارات الحديثة على الرغم من زحمة المعتزك الثقافي، وظهرت أسماء صار لها صدى على المستويين المحلي والوطني، فضلاً عن المستوى العربي، وعلى الرغم أيضاً من ثورة التوحس بسبب الوضع السياسي المربك آنذاك، وتلاحم الخطوط وسوداويتها، فقد ظهرت وطنيتهم وانسانيتهم في شعرهم وهم يدافعون عن انسانية الإنسان العراقي بسبب تعرض غالبية المجتمع إلى العوز و الحرمان، ومنهم الشاعر الشيخ محمد رضا الشبيبي، ان هذه الأجيال كسرت المألوف، فحَضَرَتْ أحلامهم في إبداعاتهم فحققوا نمواً ظاهراً في بناء النصّ الشعري وفنّيته.

**الكلمات المفتاحية: الوصف، الإبداع، الوطن، الشبيبي، النجف**

## **Conclusion**

A group of poets emerged, foremost among them Sheikh Jawad Al-Shabibi, Mr. Reda Al-Hindi, Mr. Baqir Al-Hindi, Mr. Mohammed Hussein Al-Kishwan, Sheikh Mohammed Al-Samawi and Abdul Karim Al-Jazairi. The graduates of this generation were known as giants of Arabic poetry in the 20th century, Ahmad al-Safi, Muhammad Mahdi al-Jawahiri, Sheikh Baqir al-Shibibi and Sheikh Ali al-Sharqi. In their shadow, the poetic generation grew up in the process of Arab poetry in Iraq in general and in Najaf in particular. The poets of these generations differed to the poetic and symbolic lessons of the lesson. And despite the fact that there is also a revolution of apprehension due to the confusing political situation at the time, and the cohesion of the lines and the blackness, their patriotism and humanity appeared in their poetry. They defend the humanity of the Iraqi people because the majority of society is exposed to destitution and deprivation, including the poet Sheikh Mohammad Reza Al-Shibibi, that these generations broke the familiar, their dreams came in their creations and achieved a visible growth in the construction of poetic text and art.

Key words: the description. Creativity. Najaf Shabibi.

## **التمهيد: شيء في النجف الأشرف**

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وآل بيته الطاهرين.

تبقى النجف العابدة الزاهدة، رسالة الأجيال، وخاتمة المال، يحدثنا كل خطوة قدم أديمها، ويسمعنا كل دفقة خبر حكيمة، إن من أعطى لها فيض النقاء ستهبه الرفقة والصفاء. فتسابق العطاء في النساء والرجال، واستطالت بشموخها الأفعال، فتناخت رؤى القيم وهدرت أمواج الهمم، فارتفعت الهامات وكثرت المثابات، واستمر الزمان بحكايته يخبرنا أنها مدينة سيد من هم عيش العلم، ونبراس التقى وثمر الكلم، وصوت الهدى فالنجف ما أعطاها من جهده غير إلا تفرع في التاريخ ناراً ونوراً. فكانت ولا تزال تمد أذرعها لتحضن العراق وإرثه، وتلم جمعه ووحدته، فهي ثمرة الإسلام والعرب، ومغرس الفقه والأدب،

استدارت أزقتها على ضلوع أحبتها، فتقوست الظهور، وامتألت السطور، فأحضرت وكانت شجر الكبرياء للناظرين، وكبرت فصارت شاطئاً أميناً للمبحرين، فأورقت وأينعت، وأزهرت وأثمرت، تناسلت عندها الأضواء وكبرت في فضائها الأسماء، على الرغم من أنها مدينة من تهمشت أيام أبنائها في قعر الحرمان، لكن أحلامهم ظلت طافحة بالعنفوان، فعبّر غبارها مسافات التحدي في كل زمان، فكانت ابداعات رجالها ضياء خلود قهرت سطوة النسيان، كان غذاؤهم القلق غير أنهم اختاروا المشي على جمر القلق، فانخطلوا غيثاً من غيمة الأرق، فأضأوا قلب الغسق وظلوا يشرقون من عيون الغروب، وينأون عن الذنوب، أنهم مضيؤون مضؤون، يشهق بهم الطموح ولا يشهقون. يصدون إلى الفكرة مثل اليقين، ويتلبثون عند الحقيقة تلبث الأمين، منطلقين من قول الرسول O: (إذا أراد الله بعد خيراً غسله، قيل له يا رسول الله وما غسله؟ قال: يفتح له بين يدي موته عملاً صالحاً يُرضى حتى يرضى عنه من حوله).

فكانوا يتبارون إلى رضى الله سبحانه وتعالى، يحملون طعنة الأيام، ويضمودونها بابتسامة الأحلام عصرتهم مرارة المحن، لكنهم استمرؤوا حلاوة للزمن، مستدكرين قول الإمام علي (عليه السلام) في وصف الدنيا (تغر وتضر وتمر، إن الله تعالى لم يصرفها ثوباً لأوليائه ولا عقاباً لأعدائه، وأن أهل الدنيا كركب، بينا هم حلوا إذ صاح بهم سائقهم فارتحلوا). ها هي النجف بنت نفسها بنفسها، وأكملت عقلها بثقافتها، فكان العالم ينظر العلم بلبه، ويزن الكلمة بعقله، كأنه تلبث عند قول الإمام علي (عليه السلام): (العلم وراثته كريمة)، وقوله (عليه السلام): (العلم دين يدان به، يُكسب الإنسان الطاعة من حياته، وجميل الأحداث بعد وفاته، والعلم حاكم والمال محكوم عليه) فبقوا مخلصين للحقيقة ومراميهما.

وظلت النجف ربيعاً مورك الجمال زمانها لم يتجدد الياس على جسدها، ولم يتمدد القحل على أديمها، وعجنت التحدي بصبرها، وحين لم المرح حقائبه وسافر عنها، ظلت مصوناً بسر السر، مثمرة جني الفكر، وظلت شارة مضيئة بالهدي، ومنارة مترعة بالسعي إلى كل ما يلم به جمع المسلمين ويصلح به أمر الدين، وبقيت تحضر في قلب الزمان نبضاً رانياً، لذلك يقصدها المخلصون ليذكروا بعطائها، ويأتي أبناء العراق من كل ركن ليهبطوا قيعان منائرها كي يتسلقوا مئذنة الروح، ويأتيها محبو الكلمة الصادقة ليزجوا غبار النسيان على لؤلؤة إبداعها.. إنهم يزرعون قبلة المحبة في قلب الثقة مثلما هي دوماً تزرع الثلج في قلب العاصفة، أنهم يصرون على أن يقدموا كلماتهم سلسبيل وفاء لها، ويرشوا رائحة الحب على أزقة

حضارتها، فتنتقل منها إلى العراق والإنسانية مؤكدين العمل الصالح، فهي مدرسة الإبداع الكبرى أسهم أثرها العلمي في تكوين الحضارة الثقافية والأدبية، و قدمت فكرها عبر امتداد أصالتها إلى المدرسة المعرفية الإسلامية والإنسانية، وبان تطلعها نحو التجديد والتطوير على مرّ العصور، فوفاءً لها، نقدم الحب والجمال لأنها مدينة الضوء والصلوات ، مدينة الثقافة والكلمات، كتّبت التاريخ برغبة أبنائها ، وكلما توافقت المناخ اهتز شجر العطاء ونما، وطاول الأطواد وسما، فظهر لنا بين الفينة والأخرى جيلٌ يوميّ إليه البنان، كتب الزمان ذكره في أسفار الخلود، ففي كل شبر تاريخ وحكاية، وفي كل مدينة إبداع وغاية، فهي مدينة الإرث والمكرمات، وشجرة الانتماء العربي والأرومات، مدينة الشعر ومنبت الثقافات، ولا غرو في ذلك فهي بنت الثقافة العربية والإسلامية، ضمت إلى صدرها النتاج الفكري العربي والإسلامي بعد أن أصبحت محطة استقطاب المهاجرين بأذواقهم وميولهم وعقولهم وأسلوبهم الفكري<sup>(١)</sup>، فتميزت بنمو ثقافتها بعد أن (تأثرت فكريا بانصهار هذه الثقافات في بوتقتها حتى ظهر أثر ذلك في اتجاهاتها الفكرية ونزعاتها العلمية)<sup>(٢)</sup>، فتفجرت طاقات الإبداع والإشراق، و زها موسم الكلمة والإيقاع، كلما تحسن المناخ وأجلى، وأخلص الضمير وأثرى، لذا نبعت في أديمها أسماء كثر، وتعالّت أغصان خُضْر، ولما تنزل دائمة النمو والخضرة، هطّالة الضوء والفكرة، لا تقطعها ظلمة، ولا تعكر صفوها دُكْنَة، بنت نفسها بنفسها، فشهدت نمواً معرفياً و تشيّدت علمياً فتهياً المناخ، وباتت مهوى أفئدة القاصدين المحبين لأهل البيت (عليهم السلام) .

النحف الأشرف تاريخ وإرث ثقافي

لقد شهدت النحف الأشرف تطوراً ثقافياً وعلمياً بسبب وجود المرقد الشريف، وفي عهد الشيخ الطوسي استدارت من حوله حلقات الدرس وانتظم الدرس الحوزوي، وبدأت الدراسة تتجه صوب التطور السريع، فلم يكن النضج كما ذكرنا وليد ساعة مفاجئة وإنما هو نتاج عملية وصبورية وتكوين ثقافي هائل مرّ بمراحل، لأن عدد تلاميذ الشيخ الطوسي من المجتهدين قد بلغ ثلاثمائة مجتهد<sup>(٣)</sup>.

(١) ظ: الأحلام، الشيخ علي الشرقي ط١، مطبعة شركة الطبع ببغداد، ص ٤٠.

(٢) العوامل التي جعلت من النحف بيئةً شرعية، جعفر الخليلي، جمعية الرابطة الأدبية، ١٩٣٠ - ١٩٧٠، ص ١٤.

(٣) ظ: التبيان، المقدمة من حياة الشيخ الطوسي، أغا بزرك، ١٠.

فكان المناخ والزمان والمكان على توائم وتلائم لانبثاق حوزة علمية كبرى، امتدت جذورها من البدايات الأولى لزيارة الخُلص من أتباع أهل البيت للقبر الشريف، ومن ثم نظّمها وربّتها الشيخ الطوسي، وتتابع السلسلة العلمية من بعده حتى أصبحت النجف حاضرةً فكرٍ وثقافةٍ، يقصدها الباحثون عن الحقيقة، وبجوار الدرس الحوزوي نما الشعر، إذ نشأ الأخير (في أحضان علوم الشريعة الإسلامية)<sup>(٤)</sup>، فاحذ الشعر يتخذ موضوعات على وفق تخصص القائلين، فهناك شعر الفقهاء الذي بدأ بأراجيز شملت أبواب الفقه<sup>(٥)</sup>، وهناك (شعر اللغويين والنحويين في منظومات تتبع مفردات النحو وفروع اللغة وعلم العروض)<sup>(٦)</sup>، فضلاً عن (الأدب الجغرافي في نظم جملة من أنباء الرحلات ووصف البلدان وثمرات الأسفار)<sup>(٧)</sup>.

إذ باتت هذه الموضوعات أغراضاً جلية للشعر النجفي، فمثلت الجذور الأولى لبيئة الشعر النجفي في القرون الثلاثة، الخامس والسادس والسابع من الهجرة، و في النجف الأشرف، لم يفارق الشعر مناخ الفقه، ومهما يكن من أمر فهناك أغراض للشعر تطورت مع تطور الأحداث، أما مقومات اللغة فهي قائمة على التمسك باللغة المعيارية واحترامها حدّ التقديس، فحافظت النجف الأشرف على سلامة اللغة العربية، كونها لغة القرآن الكريم، فضلاً عن الحديث الشريف ونهج البلاغة وأدعية أهل البيت (عليهم السلام) التي امتازت بعميق العبارة، وجمال الصورة، ومن مقومات لغتهم اعتمدوا على ما تدّرّ به البيئة والموروث الثقافي والانتماء الروحي لهذه المدينة من أدبيات مختلفة الجوانب كان الشعر حاضراً بقوة فيها، فلم تنفصل بيئة النجف عن الشعر، فهما صنوان لم يفترقا، فهناك المخبّات التي نشأت في الوجدان اليقيني لمحبي أهل البيت (عليهم السلام) منذ استشهاد الإمام الحسين (عليه السلام)، فظلت ثورته كما يقول أحمد أمين: (مادة خصبة استطاع أدباء الشيعة أن يستغلوها في فنهم استغلالاً واسعاً أمد الأدب الشيعي بشروة ضخمة من القصائد)<sup>(٨)</sup>، وهناك القصائد الحسينية التالية على مرّ العصور والتي مهّدت السبيل إلى الجديد من

(٤) مقدمة في الشعر النجفي، مجلة الذكوات، د. محمد حسين الصغير، ١٤١٨هـ - ١٩٩٣، ٣/١.

(٥) ظ: المصدر نفسه: ٣.

(٦) المصدر نفسه: ٣.

(٧) المصدر نفسه: ٣.

(٨) ضحى الإسلام، د. أحمد أمين، ٣/ ٣٠٤.

الأغراض ، فأضافت إلى الشعر الوجداني العربي رؤية جديدة في الشكل والمضمون<sup>(٩)</sup>، وكان لكل ذلك أثره الكبير في نمو ظاهرة الشجن في اليقين المعرفي لشعراء النجف الأشرف. وحين يطالعنا القرن الثالث عشر الهجري نجد مظاهر الرقي الفني قد أخذت مساربها وأشكالها وألوانها سواء كان الأمر في البناء الفني للقصيدة العربية في النجف الأشرف أم في الأغراض، فضلاً عن ذلك فإن تطوراً سريعاً حدث (في الشعراء وأعدادهم وفيما استجد من الأغراض والموضوعات وفي الكثرة المتزايدة من القصائد في مختلف الفنون، بما يكشف عن جذور تاريخية متأصلة له خلال القرن الثاني عشر ولكن اغلبه لم يصل إلينا لأسباب<sup>(١٠)</sup>، وكانت رصانة الأسلوب، وجودته، وقوة الشاعرية من مميزات هذا القرن الذي (خلف لنا من الآثار ما يسد احتياج التطلع إلى الشعر العربي في أصلاته وجزارة معانيه وفخامة ألفاظه، وجودة سبكه، ويكفي أن تنظر في معارك الخميس الأدبية<sup>(١١)</sup>، وكان هذا العصر عصر السيد مهدي بحر العلوم (ت: ١٢١٢هـ) (رحمه الله تعالى)، وأعدّه قامة علمية أسست لمدرسة شعرية متمامية قامت على التنافس الخلاق فأوقدت جذوة الإبداع الشعري الذي ظل يتصاعد على مرّ السنين التي تلت عصره، وتحققت أغراضها ونضجت في عصر السيد إبراهيم بحر العلوم (رحمه الله)، وأصبح الشعر في النجف الأشرف ظاهرة، كانت بالمدينة ألصق، وبامتدادها للموروث أعرق.

ثم جاء القرن الرابع عشر الهجري الذي يعد نقطه التحول الكبرى في تاريخ النجف الأشرف العلمي والثقافي، فباتت النجف مقصودة<sup>(١٢)</sup>، يأتي إليها طلاب العلم والأدب من كل صوب.

وكان السيد إبراهيم بحر العلوم المعروف بـ(الطباطبائي) قد شجع على النمو المعرفي لهذه المدرسة، فبزغ في عصره أكثر من نجم، وقد جددوا في أغراض الشعر، ويعد السيد محمد سعيد الجبوي، مجدداً في البناء

(٩) دلالة الصورة الحسية في الشعر الحسيني، د. صباح عباس عنوز، ٢٠.

(١٠) مقدمة في الشعر النجفي، د. محمد حسين الصغير، ٤.

(١١) المصدر نفسه: ٤.

(١٢) ظ: المفصل في تاريخ النجف الأشرف، د. حسن الحكيم ٩/٧.

الفني للقصيد العربية في النجف الأشرف، إذ إن موشحاته شارة مضيئة دالة على التجديد<sup>(١٣)</sup>، وقد عده الدجيلي رائد الشعر الحديث<sup>(١٤)</sup> وفي هذا القرن أضافت المدرسة أصالة وموضوعية وفنية للشعر وحددت في أغراضه فحفظوا تراث العربية، وبدأ التدوين المنظم، إذ يقول د. صالح أحمد العلي (وبدأت العناية الشعبية والرسمية في حفظ التراث ... وكانت أظهر تلك المحاولات التي قام بها نفر من الغيارى والعلماء في النجف والبصرة لهذا الغرض)<sup>(١٥)</sup>. وفي القرن نفسه ظهرت الجامعات الشعرية، فظهرت طبقة كان في مقدمتها الشيخ جواد الشيبلي والسيد رضا الهندي، والسيد باقر الهندي والسيد محمد حسين الكيشوان، والشيخ محمد السماوي وعبدالكريم الجزائري، ومن مدرسة هؤلاء تخرج جيلٌ عرفوا بأنهم من عمالقة الشعر العربي في القرن العشرين، منهم الشيخ محمد رضا الشيبلي وأحمد الصافي ومحمد مهدي الجواهري والشيخ باقر الشيبلي والشيخ علي الشرقي، وفي ظلهم نشأ الجيل الشعري المواكب لحركة التطور في الشعر العربي في العراق عامة وفي النجف خاصة، وراح الشعراء بأجيالهم هذه يختلّفون إلى حلقات الدرس الشعري والأماسي المنظمة، وشرعوا يستقون علوم العربية وما يتصل بها، ويتابعون الإصدارات الحديثة على الرغم من زحمة المعترك الثقافي، وظهرت أسماء صار لها صدى على المستويين المحلي والوطني، فضلاً عن المستوى العربي، وعلى الرغم أيضاً من ثورة التوجس بسبب الوضع السياسي المربك آنذاك، وتلاحم الخطوط وسوداويتها، فقد ظهرت وطنيتهم وإنسانيتهن في شعرهم وهم يدافعون عن إنسانية الإنسان العراقي بسبب تعرض غالبية المجتمع إلى العوز و الحرمان، ومنهم الشاعر الشيخ محمد رضا الشيبلي، ان هذه الأجيال كسرت المألوف، فحَصَرَتْ أحلامهم في إبداعاتهم فحققوا نمواً ظاهراً في بناء النص الشعري وفنيته .

<sup>(١٣)</sup> ظ: تطور الشعر العربي الحديث في العراق، د. علي عباس علوان، ٦.

<sup>(١٤)</sup> ظ: محاضرات في الشعر العراقي الحديث، عبد الكرم الدجيلي، المقدمة.

<sup>(١٥)</sup> المستدرك على الكشاف، عبد الله الجبوري، ١٢.

إن فهم النص هو الذي يحدده الأسلوب المنتظم وإن مفتاح فهمه استقراء بنيته عبر مكوناتها ، لأن البنية تمتلك قيمةً فنية كثيرة : قيم المعنى وقيم الموسيقى التي تتألف معها ، لتكوين دلالة عامة أو خاصة ، لأن للبنية علاقة بالتوجه الدلالي المقصود، وهي مدعاة لإظهار صفات صوتية يقصدها الكاتب وعياً أو لا وعياً ، ويستغلها في إنتاج الدلالة العامة للنص ، لأن قدر المعنى يتعلق بقدر اللفظ فلكل واحد أهميه في جمال النص وتصويره أو ما تتوطنه - النص - من إشارات واضحة تنبئ عن اهتمام المتكلم ، إذ إن كل شيء يخرج المتكلم على لسانه له صلة بما يعتمل في نفسه ، فما يخرجها إلا ليظهر شكل إحساسه وتصوراتها ، فأرهابت الشاعر تفضحها عيون الكلمات ، لأن الأخيرة علامات يقدمها المنشيء برسائل مهمة إلى المتلقي الذي يستطيع من خلالها فك شفراتها ، وتحليل معانيها ، ومعرفة مغزاها ، فهي طريق يدي الباحثين عن حقيقة النص، ولهذا فإن للشعراء لغتهم ، وكل لغة شعر هي حصيلة انفعالات نفسية ، يُظهرها مضمون ما يجيش في أعماق الكاتب، ومن هنا فأن الكلام هو رسالة إبلاغية، فكيف إذا كان الشاعر يؤكد أهميتها ووظيفتها في نصه ، فالكلمة تتحرك في بنية السياق حركة حيّة فتمنحه تموجات دلالية ، فإذا أراد الشاعر أن يوسع حيوية النص جعل تلك الحركة انبثاقاً وجدانياً قائماً على العدول ، فإن ركبت حركة الكلمة سكنت حركة النص الدلالية، فانكمش مجال الإنزياح الذي هو أسُّ فاعل في تكوين الصورة، و من ثم جُمد المعنى ،وبات ميثاً بين يدي القارئ ،أي ينكمش مجال تعدد المعنى ، فاللغة الشعرية منظومة كلامية قائمة على قدرة الشعراء بانتقاء الكلمات ومعرفة تضمينها في السياق ،ياكسابها أو منحها حركة حيه تُمسكُ ذهن المتلقي وتأخذ به إلى وجودٍ ذهني ، هو ابن الوجود الحقيقي ، لكنه وجود تكلم الصورة الشعرية والدلالات المثيرة التي تتغلغل إلى الوجدان، وكلما هيمن الشاعر على عمله اختيار النص كلما هيمن على أسلوبه ، فالتكوين الأسلوبي يعد أحد الأركان الثلاثة في العملية الإبداعية، مثله كمثل التكوينين الفكري والتواصلية ، والشاعر الكبير هو الذي يستطيع تحقيق هذه الأركان الثلاثة بقدرة إبداعية ،تجمع مستويات النص التركيبي الذي يقوم على الصواغات الأسلوبية بعلائقها المختلفة ، وتضمها إلى مستوى المكون التوليدي الذي يهتم بالمعنى المترشح من عملية الرصف الفني المقصود للسياق ، فهو نتاج ثانٍ للتكوين الشكلي، يقدم لنا المعنى الذي يسعى إليه المبدع لغايات مقصودة ، فالشكل والمضمون لم يكونا محض



كتابة أو تصورات اعتباطية ، وإنما هما يرتبطان بجذور العملية الإبداعية أصلاً، ويتواصلان مع الحالة النفسية للمبدع ،ولكون شعرالشاعر محمد رضا الشبيبي ألصق بمحموم المجتمع هو الأمر الذي دفع الرابطة الأدبية إلى طبع ديوانه،(ينص نظام الرابطة الأدبية العلمية على السعي في نشر خيرة المؤلفات العلمية والآثار الأدبية ،وبعد أن بحث مجلس إدارة هذه الجمعية مرارا في الطريقة المثلى للقيام بما فرضه النظام المذكور من واجبات قرر في جلسته المعقودة في ١٢ ذي القعدة ١٣٥٥، الموافق ٢٤ شباط سنة ١٩٣٧ مخاطبة معالي السيد الأستاذ محمد رضا الشبيبي في طبع ديوانه.وكتب إليه بأن يجيز له القيام بذلك،فتفضل بإجابة طلبنا....مجلس إدارة جمعية الرابطة العلمية الأدبية)<sup>١٦</sup>،وقد وجت ثمة مكونات أسلوبية ودلالات معنوية تربط شعره،فهو يدافع عن الأمة العربية حاثا القائمين عليها بالإصلاح، إذ يقول:

ألا أصلحو من شأنها فهي أمة إلى الآن لا تنفك غامضة الشان

ولا تُنقذوها من خمول لنجوة من العُجب، إنَّ العُجب مصرعها الثاني

وبلوا لظى أحقادها فصدورها مجامر أحقاد دواكٍ وأضغان

وإن حياة الموت إن لم يكن لها على الموت سبق فهي والموت سيان<sup>١٧</sup>

بان رفضه للواقع ، لأن وحدة الصراع تمثل موقفه من الوجود ، بسبب ما تمر به الأمة العربية،فأنتج كلاماً

كان رد فعل على ما تلقاه الشاعر من الواقع الخارجي ،ويقول:<sup>١٨</sup>

ق دَمَعٌ يفيض من أي مقلّة لوقوفي بين الفرات ودجلّة

يا ما أدقّ نظرة فكريّ يوم شاهدتُ موقفاً ما أجلّه

ما أكثر الجداول تجري في ربوع نعيمها ما أقله

<sup>١٦</sup> -ظ:ديوان الشبيبي، قرار مجلس جمعية الرابطة العلمية الأدبية،المقدمة.

<sup>١٧</sup> - ديوان الشبيبي، ٥٠.

<sup>١٨</sup> -م،ن،٥٣.

ما بي أني أرى الماء أخذ المالح الأجاجي جُلَّة

ثرى حرّم الرُّلال علينا وعلى الساكنات فيه أحلَّة

أخال الخريز والماء إلا صوت حزن وعبرةً مُستَهلَّة

واضح رفض الشاعر لواقع مؤلم أباحت علامات النص بكنهه ، ذلك الواقع الذي قضى الشهيد فيه نخبه في حي اليرموك ، فكان الأخير رمزاً دلاليّاً أفاض بدلالاته التداولية ، إذ ارتبط بذهن المتلقي، وقد بدأ الشاعر متحيراً ، فالدمع يفيض من أي مقلة ترى دجلة والفرات، فهو يُخبر بكثرة الجداول في ربوع العراق، ولكن لا نعيم تغترف منه الناس لتشرب ماء، زلالاً، إنهما الألم والحسرة اللتان تفوحان دلالة من النص، ثم أن الدلالات الإيحائية الناتجة كانت تعلن ما يستهجنه الشاعر من واقع مزير فتحدث عن بيئة مهملة، فاستعمل الكنايات لتعبّر عن اللانسانية التي يستعملها الحاكم ، لأن الشعر في حقيقة الأمر ما هو إلا انبثاق وجداني . . . وقد اشتغلت الكناية بأقصى طاقاتها في النص ، فبينت حال الشاعر وهو يستهجن ذلك المنظر المزري بيئياً فيتعاطف مع حال الساكنين على النهرين غير المستفيدين من نعيمهما ، وهو يعزو ذلك إلى الجهل كما يقول:<sup>١٩</sup>

آه لو مثلوا لي الجهل شخصاً وتقاضوا إليّ حللتُ قتلة

أرض العراق مهبط عزّ كنت - يا لا - رجعت مهبط ذلّة

كنت للمجد وجهة، للأمان كعبة، للمحامد الغرّ قبلة

تقدمت والحكومة فرد؟ وتقهّرت والحكومة ملّة

وقد اشغل التضاد بمساحة دلالية كبيرة في النص ليقارن بين الماضي فمنحه (العز)، وبين الحاضر فمنحه (الذل)، إذ وردت الكلمتان متصارعتين، فدلنا على ما بينه موقف الشاعر الراض للوجود عبر رفضه الجهل وما يمر به الناس بسبب الحكومة آنذاك وعدم تخطيطها، تحدث عن أرض العراق فوازن بين حالها

<sup>١٩</sup> -ديوان الشبيبي، ٥٥

قدبما وفي عهد الحكومة، فباتت الكناية طريقا موصلا إلى الفكرة، بالتعريض، فأبي موقف أكثر من هذا رفضاً للواقع ، فهو يطالب الناس بالإنابة إلى حالهم ورمي الجمود والذهاب نحو فتح أبواب الهدى مقارنة بين قومه والآخرين في قصيدته (ننازع البقاء) فيقول:

هو الدهر قتالٌ لما ليس يصلحُ فكونوا كما قد يشتهي الدهرُ تُفْلِحُوا

بجدِّ أمورِكُلِّ مُمَسِّي وَمُصْبِحِ ونحنُ كما تُمسي على الأمرِ نُصْبِحُ

وتُفْتَحُ أبوابُ الهدى فنسُدُّها وتنسُدُّ أبوابُ الضلالِ فنفتَحُ

وقد تحزنُ الأقوامُ مما يسوءُها ولكننا في مثل ذلك نفرحُ

رمتُ أممٌ عنها الجمودَ فأفلَحَتْ على حينِ أنا تحتَه الآنَ نرزحُ

لا شك في أن عنوان القصيدة يعد علامة تضيء مساحة الفكر، لأن العلامة تأخذ بالمتلقي إلى أطواء المعنى من خلال حركتها التموجية الدلالية في السياق ، فثمة علاقة بين لغة الشاعر وبين موقفه من الوجود لأن اللغة نتاج وجداني ترسمه حروف اللغة والرموز التي يتعاطى معها الشاعر من خلال بيئته ، وقد وجدنا الكناية التي كانت أداءً بيانياً اعتمده الشاعر لإيصال رسالته وموقفه من الوجود، وقد عقد مقارنة بين الأقوام التي تحررت من براثن الجهل والحرمان ، فانطلقت نحو التقدم بثبات ، وبين قومه الصامتين ولم يحركوا ساكناً قبالة ما يمر بهم ، فدللت عبارات (ننازع البقاء، بجد أمور، ونحنُ كما تُمسي على الأمرِ نُصْبِحُ، وتُفْتَحُ أبوابُ الهدى فنسُدُّها، وتنسُدُّ أبوابُ الضلالِ فنفتَحُ، وقد تحزنُ الأقوامُ مما يسوءُها، ولكننا في مثل ذلك نفرحُ، رمتُ أممٌ عنها الجمودَ فأفلَحَتْ ، على حينِ أنا تحتَه الآنَ نرزحُ، هذا موقفه من الوجود المؤلم ، رفضه الشاعر واستعان بالصور الذهنية مثل (ننازع البقاء، تُفْتَحُ أبوابُ الهدى، تنسدُّ أبوابُ الضلالِ، رمتُ أممٌ عنها الجمود)، وكلها لبست ثوب الكناية فثمة تعبير يختبئ تحت معنى، جاء الشاعر به معاتباً قومه على سبب رضوخهم للواقع الحزين، فكان الوصف شاملاً مكتمل الدلالة مُعبِّراً تعبيراً إيجائياً عن ألم الزمان والمكان معا في حينها، الأمر الذي أبعده المجتمع عن التطور ورفاهية الحياة، وقد استمدت تلك

الصور دلالاتها من خلط المحسوس بالمعقول ، قصداً في توضيح غاية الشاعر، ثم ان المتتبع لنهاية القصيدة يجد الضربة الشعرية التي توحى برفض ذلك الواقع ،

رَمَتْ أُمٌّ عَنْهَا الْجُمُودَ فَأُفْلِحَتْ عَلَى حِينٍ أَنَا تَحْتَهُ الْآنَ نَرْزُخُ

فنجد الدلالات الشعرية قد أعطت ربطاً موضوعياً للنصوص التي تليها، فكان الشاعر قد وضع مهارته الشعرية وصفاً ونقداً للواقع في تتابع الصور الراضية ايجائياً للواقع، وهذا ديدنه فهو ينماز بروح وطنية وثابة، يُظهرها شعرياً بالوصف ونقد الواقع، فيقول مرة في نقد الشباب الطائش مُلقياً اللوم على قاداته المتفرقين:<sup>٢٠</sup>

شباب طائش نرزق وشيبٌ ما بهم رمقٌ

وشعبٌ طالبٌ ثقةٌ فدُلُّوه بمن يثقُ

ففي آرائنا شيعٌ وفي أحزابنا فرقٌ

استشري خلافتكم آل ياقومُ فاتفقوا

فما هانوا من اجتمعوا وما سادوا من افترقوا

خُلِقَ الْوَرَى هَمَجاً فَإِنَّ الْقَوْمَ مَا خُلِقُوا

ما الإبداع إلا ثمرة من ثمرات تلك الحرية الشعرية الراضة للواقع المعيش، فالمبدع خير من يرصد غيابها أو فوضويتها، ويؤمىء إلى إشكالية واقعهم حينما تغيب عنهم الفكرة العاقلة، وحين يبقى الشباب في مهبط الريح بلا مُصلح ، لذلك كانت التقاطاتالشاعركلها دلالات موحية إترفض الواقع الذي يهمل الشبابلأنهم بناء العراق، فلم يأنس الشاعر استشرء الخلاف، لأن الآراء غير متوحدة والأحزاب متفرقة فوقع وبال ذلك على الشباب وهذه خسارة للأمة، فلا ضعف يلاحق المتأزرين المجتمعين، إذ يقول:<sup>٢١</sup>

<sup>٢٠</sup> -ديوان الشيبى: ٩١

<sup>٢١</sup> -ديوان الشيبى، ٩١

فما هانوا من اجتمعوا وما سادو من افترقوا

خُلِقَ الْوَرَى هَمَجاً فَإِنَّ الْقَوْمَ مَا خُلِقُوا

وبهذه الحكمة الرصينة ختم نصه ملقيا اللوم على تفرق الكبار المؤدي إلى ضياع الشباب لطريقهم السوي

فنجد تكرار اللوم الذي منحه الطاقة البيانية للكناية قد وهب النص مساحة تأويلية، إذن لماذا الضعف وعدم الاجتماع على الرأي أهو الخوف؟ لقد أبدع الشاعر في نهاية نصه حكمة، لأن فهم النص هو الذي يحدده الأسلوب المنتظم وإن مفتاح فهمه هو استقرار بنيتِه عبر مكوناتها، لأن البنية تمتلك قيمة فنية كثيرة : قيم المعنى وقيم الموسيقى التي تتألف معها ، لتكوين دلالة عامة أو خاصة، ويقول مرة أخرى مناجيا وداعيا الشباب إلى التطلع لأنهم ثروة الأمة :<sup>٢٢</sup>

أنتمُ مُتَعَسِّمٌ بالسُّودد يا شباب اليوم\_أشياخ الغدِ

يا شبابا درسوا فاجتهدوا لينالوا غاية المجتهدِ

وعد الله بكم أوطانكم ولقد آن بجأز الموعدِ

أنتمُ جيلٌ جديدٌ خُلِقُوا لِعُصُورٍ مُقْبِلَاتٍ جُدِدِ

كَوْنُوا الْوَحْدَةَ لَا تَفْسَخْهَا نزعاتُ الرأْيِ والمُعْتَقَدِ

أنا بايعتُ على أن لا أرى فُرْقَةً،هاكم على هذا يدي

دلت الكلمات التي جاءت في السياق على رؤية الشاعر الوطنية وإيمانه بأن الشباب هم من يقدر على بناء العراق مثلما بنى شباب العالم أوطانهم ، إذ يتوق الشباب إلى الحرية الملتمزة والتشجيع لكي يبدعوا ، فأظهرت بنية النص حرص الشاعر على ذلك، لأن للبنية علاقة بالتوجه الدلالي المقصود، وهي مدعاة

لإظهار صفات صوتية يقصدها الكاتب وعياً أو لا وعياً، ويستغلها في إنتاج الدلالة العامة للنص، لأن قدر المعنى يتعلق بقدر اللفظ فلكل واحد أهميه في جمال النص وتصويره أو ما تتوطنه - النص - من إشارات واضحة تنبئ عن اهتمام المتكلم ، إذ إن كل شيء يخرج المتكلم على لسانه له صلة بما يعتمل في نفسه ، فما يخرجها إلا ليظهر شكل إحساسه وتصورات ، فإنها صحت الشاعر تفضحها عيون الكلمات ، لأن الأخيرة علامات يقدمها المنشئ برسائل مهمة إلى المتلقي الذي يستطيع من خلالها فك شفراتها ، وتحليل معانيها ، ومعرفة مغزاها ، فهي طريق يدلي الباحثين عن حقيقة النص، ولهذا فإن للشعراء لغتهم ، وكل لغة شعر هي حصيلة انفعالات نفسية ، يُظهرها مضمون ما يجيش في أعماق الكاتب،

ومن هنا فإن اهتمام الشاعر بالشباب هو اهتمام نابع من الأعماق، وكان شعره رسالة ابلاغية لهم نحو التطلع والتجديد والإبداع، فيقول: <sup>٢٣</sup>

لنكن آمالكم واضحة نُصّب عينها حياة الأبد

لتعش أفكاركم مبدعة دأبها إبداع ما لم تجد،

فأكد الشاعر أهمية رسالته إليهم ووظيفتها في نصه ، عبر عباراته (يا شباب اليوم\_أشياخالغد، يا شبابا درسوا فاجتهدوا، لينالوا غاية المجتهد، وعد الله بكم أوطانكم، ولقد آن نجأز الموعد، أنتم جيل جديد خلقوا، لعصور مقبلات جدد، كؤنوا الوحدة لا تفسخها، نزعات الرأي والمعتقد، أنا بايعت على أن لا أرى فُرقة، هاكم على هذا يدي)، فكانت الكلمات تتحرك في بنية السياق حركة حيّة فتمنحه موجات دلالية ، فوسع حيوية نصه فجعله انبثاقاً وجدانياً قائماً على العدل والحكمة معا، وقد منصه وظيفة ارشادية جمعت بين النصح والإرشاد والتعليم وفنية القول، الأمر الذي يؤكد شاعريته التي لا تنفك عن وطنيته وتشجيع كل ما يسهم في بنائه، فكان الوصف والإبداع لا ينيان عن حب الوطن، يقول في يوم الشعبية <sup>٢٤</sup>:

بنت الرُّبا حُمُرُ أشلاء وأورادٍ منثورة لك بين القصر فالوادي

<sup>٢٣</sup> - ديوان الشبيبي، ٨١

<sup>٢٤</sup> - م، ن، ٤٨

دون (الشعبية) أجساد موزعة في البيد توزيعاً أعضاء بأجساد

وفي (النخيلة) أزماس موثقة علائقاً بين أسياف وأعماد

للترك ثمّت أوتاد، وأحبيّة فيها أصيبوا وشجوا شجّ أوتاد

جيش أقام ثلاثاً في خنادقها خالي الحقائق من ماءٍ ومن زاد

ماء الفراتين موفور وحبّهما والجندعرتان مُلتاح الحشا صادي

العلة العضة المجنى التي نهبّت متروكة نهب أيدي الرّائح الغادي

أقواتنا في بطون الذرّ أكثرها لا في بطون صعاليك وأجناد

أعطى الشاعر وصفاً دقيقاً لما مر في العراق في معركة الشعبية والنخيلة فبات شعره شاهداً تاريخياً، يعتمد الوصف الدقيق فيوثق أحداثاً وحالات يعجز المؤرخ المنقب في كتب الأحداث أن يأتي بمثلها، فهو يبيّن حال الشعب والثروة المنهوبة، وفي الوقت نفسه ينتقد حال الجيش التركي في العراق فيقول:<sup>٢٥</sup>

صمّ مدافعنا ما أمطرت حُحماً ولم تكن ذات إبراقٍ وإرعادٍ

تُنازلُ القومَ فاتوا ذرّعَ فيلقنا بُعدةٍ وكثرناهم بأعدادٍ

عشرون ألفَ عراقيٍّ ومثلهمُ حُمُرُ الحمايقِ من تُركٍ وأكرادٍ

مُحمّرونَ تحافوا عن ديارهمُ واستبدلوا الوحشَ من أهلٍ وأولادٍ

لقد نقلنا الشاعر إلى ساحات المعركة، وأعطانا وصفاً دقيقاً للحال، فكان شعره شاهداً تاريخياً يجمع الوصف والنقد معاً، إذ وجدنا الصورة امتزجت أفادت من الوصف لتسجل أحداثاً تاريخية مرّ بها العراق، ولم تبعد عن المنحى التعليمي للمخاطب، فأخذت الصور الوصفية السامع إلى وجود ذهني، هو ابن الوجود الحقيقي، لكنه وجود تكلمه الصورة الشعرية والدلالات المثيرة التي تتغلغل إلى الوجدان، وقد هيمن الشاعر

<sup>٢٥</sup> - ديوان الشبيبي، ٤٨

على عمليه اختيار النص برؤى وجدانية صادقة اليقين، فانعكس ذلك على أسلوبه ، فالتكوين الأسلوبي يعد أحد الأركان الثلاثة في العملية الإبداعية، مثله كمثل التكوينين الفكري والتواصلية ، والشاعر الكبير هو الذي يستطيع تحقيق هذه الأركان الثلاثة بقدرة إبداعية ، تجمع مستويات النص التركيبي الذي يقوم على الصواغات الأسلوبية بعلائقها المختلفة ، وتضمها إلى مستوى المكون التوليدي الذي يهتم بالمعنى المترشح من عملية الرصف الفني المقصود للسياق ، فهو نتاج ثانٍ للتكوين الشكلي، يقدم لنا المعنى الذي يسعى إليه المبدع لغايات مقصودة ، فالشكل والمضمون لم يكونا محض كتابة أو تصورات اعتباطية ، وإنما هما ينبثقان من أعماق المنشيء، ويرتبطان مع حاله النفسية، وعليهما تتنامى العملية الإبداعية ، وبذلك قدم شعره إخباراً صادقاً عن معركة الشعبية ، لم يغفل النقد في طياته، وبذلك بانت وطنيته، ووضوح صدق احساسه ، وهذا ديدن شعراء النجف فهم يذكرون بالأشياء التي تخص الوطن ويثيرون حماس المتلقي، ويدلونه على المسكوت عنه في التاريخ ، فكثرت في نصه الرموز ( الشعبية ، النخيلة ، القصر ، الوادي ، الفراتين ، الغلة ، المدافع الصم ، عراقي ، الترك الأكراد ، مجمر ، الوحش ، الأولاد... وغيرها ) ، والرمز يضيء مساحة فكرية من الذهن إذا وظفه الشاعر لغاية دلالية بأسلوب شعري هادف، وقد تعدت موضوعاته الشعرية بين الحماسة والوطنية والإخلاقيات والإلهيات والوجدانيات والحكمة والوصف وغيرها فيقول: <sup>٢٦</sup>

نجني على أنفسنا حين نجني، ثم ندعوا من جني؟

ويقول: <sup>٢٧</sup>

أَكْبَرُ ظَنِّي لَوْ أَنَا (مُحَمَّدٌ) لَلَّاقِي الَّذِي لَاقَاهُ مِنْ أَهْلِ مَكَّةِ

ويقول: <sup>٢٨</sup>

يقولون مَنْ هُوَ هَذَا الْفَقِيرُ فَهَلْ قَالَ قَائِلُهُمْ: مَنْ أَنَا؟

<sup>٢٦</sup> ديوان الشبيبي، ١٠٥

<sup>٢٧</sup> م، ن، ١٠٧

<sup>٢٨</sup> م، ن، ١٠٩



ويقول:<sup>٢٩</sup> تفاهمتا عيني وعينك لحظة وأدركتا أن القلوب شواهدُ

ويبقى الشعر كلمات البوح الخارجة من أعماق المنشيء، وأن فهم غايته يصرح بها التكوين الأسلوبي الذي يعتمد، لأن الشعر انبثاق وجداني، فإذا أراد الناقد الوقوف على دلالاته غاص في استقراء بنيته عبر مكوناتها المتعددة، لأن البنية كما ذكرنا تمتلك قيماً فنية كثيرة: قيم المعنى وقيم الموسيقى التي تتألف معها، لتكوين دلالة عامة أو خاصة، ولأن للبنية علاقة بالتوجه الدلالي المقصود، وقد قصدها الشاعر الشيخ محمدرضا الشبيبي، واستعملها في إنتاج الدلالة الشعرية بإمعان وقدرة، لأن قدر المعنى يتعلق بقدر اللفظ، فلكل واحد أهمية في جمال النص وتصويره أو ما تتوطن النص من إشارات واضحة تنبئ عن اهتمام الشاعر، إذ إن كل شيء يقوله له صلة بما يعتمل في نفسه، وهو يفصح عن شكل إحساسه وتصورات، فأريته يهتم بالرمز كثيراً وصولاً إلى ما يبغى قوله، فكانت عنوانات القصائد والرموز المتوزعة فيها علامات شعرية تنبئ عن مقصود شعري، وكذلك الكلمات التي اختارها فهي تحمل أبعاداً دلالية وتركيبية وتداولية، فأحسن وصفاً وحكمة وخيالاً ووظفها في إظهار وطنيته الصادقة.

والحمد لله رب العالمين

### المصادر والمراجع:

- ١: الأحلام، الشيخ علي الشرقي ط ١، مطبعة شركة الطبع والنشر الأهلية، ببغداد، ١٩٦٧ م.
- ٢: التبيان، المقدمة من حياة الشيخ الطوسي، أغا بزرك.
- ٣: تطور الشعر العربي الحديث في العراق، د. علي عباس علوان، دار الشؤون الثقافية، ببغداد، (د.ت)
- ٤: دلالة الصورة الحسية في الشعر الحسيني، د. صباح عباس عنوز، إصدار وحدة الدراسات التخصصية في الإمام الحسين (عليه السلام)، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، ١٤٣٤هـ - ٢٠١٣ م.
- ٥: ديوان الشبيبي، نشر الرابطة العلمية الأدبية، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة ١٣٥٩هـ - ١٩٤٠ م.
- ٦: ضحى الإسلام، د. أحمد أمين، مطبعة الاعتماد، القاهرة، ١٩٣٣.

٧:العوامل التي جعلت من النجف بيئة شعرية، جعفر الخليلي، جمعية الرابطة الأدبية، النجف الأشرف،  
١٩٣٠ - ١٩٧٠م.

٨: محاضرات في الشعر العراقي الحديث، عبد الكريم الدجيلي، معهد الدراسات العربية،  
بغداد، ١٩٥٩م.

٩: المستدرك على الكشاف عن مخطوطات خزائن كتب الأوقاف، عبد الله الجبوري، مطبعة المعارف،  
بغداد، ١٩٩٥ .

١٠- المفصل في تاريخ النجف الأشرف، د. حسن الحكيم، دار الكوفة، بيروت، لبنان، ١٤٤٩هـ-  
٢٠٠٨م.

١١- مجلة الذكوات، مطبوعات الاتحاد العام للأدباء والكتاب في النجف الأشرف، ١٤١٨هـ-  
١٩٩٣.